ثلاثيات البردة (دراسة لسانية)

أ.م.د قاسم فاهم خضير

الجامعة المستنصرية كلية التربية قسم علوم القرآن

ملخص البحث:

يرى الباحث ان الدرس اللساني من الدروس القديمة الحديثة التي عني بدراستها المتأخرون وأشار اليها الأقدمون ,حيث وجد الباحث أن للعرب باعاً طويلاً في هذا الحقل اللغوي قد وقع اختيار الباحث على قصائد ثلاثة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث كان للسبك اللغوي أثر واضح فيها.زخرت قصائد البردة الثلاث لشتى اضرب الاحالة وهو المعيار الاساس في الدراسه ,فقد عرض الباحث نظرة عامة عن الدراسات السابقة والمدارس اللسانية والسبك ودلالته في المبحث الاول وتناول المبحث الثاني الاحالة والحذف والأستبدال والوصل وايضا تعريف السبك لغة واصطلاحًا وأنواع السبك وهي الإحالة إذ قسمها على الضمير واسم الإشارة والمعرف بـ(ال) والمقارنة, وأما المبحث الثالث فقد قسمه على مطلبين السبك بالحذف والاستبدال ذاكرًا فيه أنواع الحذف أي ما يحذف من اسم وفعل وجملة ثم ذكر في المبحث الثاني قرينه وهو الاستبدال ذاكرًا أنواعه وهو الاسمي والفعلي والمقالي ثم خاتمة عرج بها الباحث على أهم ما ورد في هذا البحث ثم ثبت جمعت المصادر التي أسهمت في إنجاز هذا البحث.

Research Summary:

The researcher considers that the linguistic lesson is one of the ancient and modern lessons that the later ones studied and referred to, as the researcher found that the Arabs have a long history in this linguistic field. In which.

The three poems of Al-Burdah were replete with various multiplication of reference, which is the main criterion in the study. The definition of (the) and the comparison, and as for the third topic, it was divided into two demands of casting by deletion and substitution, mentioning the types of deletion, i.e. what is omitted from a noun, a verb and a sentence. It was mentioned in this research, then it was proven that the sources that contributed to the completion of this research were collected.

المقدمة

يسعى هذا البحث لدراسة النمط التركيبي للغة العربية وأشكالها المنسجمة داخل ذلك النمط التركيبي القائم على الائتلاف بين المعاني والألفاظ, وقد أشار هذا البحث إلى جهود علماء اللغة السابقين وما كان له من تأثير في كتابات النحويين المحدثين, وقد مثلت هذه الدراسة حلقة وصل بين القدماء والمحدثين عبر طرح تنظيري لآرائهم من خلال الأمثلة العملية، في هذا البحث إذ إنها جمعت بين ثلاث قصائد متباينة زمانيًا وفنيًا، كقصيدة كعب، فبها سمات تميزها، ومن قصيدة البوصيري لها سمات تميزها من قصيدة أحمد شوقي، على الرغم من أن القصائد الثلاث تشترك في مدح واحد هو مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وقد ذكرت هذه الدراسة توضيحًا لمفهوم اللسانيات ومدارسها وأبرز منظريها، كما وقف البحث على أهم ما نتج عن النظرية اللغوية الحديثة ونعني به علم النص إذ كان من إسهامات علم لغة النص تحليل ما عرف بالمعايير النصية، وهي المكونات التي تجعل النص كلًا متوحدًا متماسكًا دالًا لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة ،هذه المكونات هي السبك(Cohesion) والحبك (Coherence) والقصد (Intentionality) والقبول (Acceptability) ورعاية الموقف (Situationality) والتناص (Intertextual). وقد وقع اختيار الباحث على معيار من هذه المعايير هو السبك، فقد أكد علماء اللغة القدماء والمحدثون أهمية معيار السبك, فقد ذهبوا إلى أن معيار الجودة في الكلام راجع إلى تحقق الكلام المسبوك الذي من خلاله يتصل الكلام بعضه مع بعض.

المبحث الأول

المطلب الأول "نظرة عامة عن الدراسات السابقة"

من الجدير بالذكر أن علم اللسانيات من العلوم التي نشأت من جهود العلماء الأوربيين لا يتعدى عمره القرنين من الزمن، إذ هو ذلك العلم الذي يصب اهتمامه على دراسة اللغات الإنسانية دراسة علمية تقوم على وصف الوقائع بعيدًا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية أو بمعنى آخر علم اللسانيات هو الدراسة العلمية لجميع اللغات البشرية من خلال الألسن الخاصة بكل قوم من الأقوام وشعب من الشعوب، وهذه الدراسة العلمية تشتمل على الأصوات اللغوية والتراكيب النحوية والدلالات والمعاني اللغوية وعلاقة اللغات البشرية بالعالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان، وعلى ذلك فاللسانيات العربية: هي العلم الذي يدرس اللغة العربية دراسة علمية تقوم على ذلك الأساس... فاللغة قبل كل شيء ظاهرة فيزيولوجية إنسانية لاحظها الإنسان منذ أن وجد على سطح هذه الأرض، وقد حاول منذ بداياته سبر أغوار هذه اللغات وما زال يحاول ذلك حتى الآن؛ ولذلك فإن التاريخ الإنساني كله بغض النظر عن جنس الإنسان وعرقه وأصله ولغته مليء بالدراسات التي تناولت موضوعات

الظواهر اللغوية[١]. ولم يكن علماء العربية مختلفين عن سائر الأمم إذ إنهم حاولوا سبر أغوار لغتهم، وما أنجزه العرب في مجال الدراسات الصوتية واللسانية بدءًا من القرن السابع الميلادي من تقسيم للأصوات وتصنيفها ووصفها بحسب خصائصها وسماتها كل ذلك هيأ لتشكل الصوتيات الحديثة التي صاغها الأوربيون فيما بعد وأبرزهم (فرديناند دي سوسير). وقد التقى العرب مع اللسانيات الحديثة على اعتبار أن للظاهرة اللغوية وارتباطاتها بالإنسان بعدين:البعد الاول: كوني لأن الحدث اللساني وجود مطلق ملازم للوجود البشري مجرد عن الزمان والمكان وتنوع الألسنة واختلاف اللغات.والبعد الثاني: بيولوجي يتمثل في تجهز الإنسان واستعداده الخلقي لإتمام هذه الظاهرة اللغوية. وقد سبق اللغويون العرب القدماء عالم اللغة الأمريكي (نعوم تشومسكي) بعدة قرون في النظر إلى النحو على أنه العلة التي تحكم الأشياء وتماسكها تماسكًا محكم التنظيم، وقد قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: "إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع الكلام وقام في عقولها علته".وقد جاء الاهتمام بالبحوث الصوتية واللسانية عند العرب نتيجة لجهود العلماء القدماء في ضبط تلاوة القرآن الكريم وحسن أدائه فضلاً عن ذلك أن الصوت واللسانيات يأخذان في اللغة العربية وفي القرآن الكريم قيمة فنية خاصة تمثلت في المعايير التي وضعت لضبط هذين الجانبين وإجادة أداء القرآن، ثم إن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أسهم بشكل كبير في اجتهاد اللغويين في معرفة القيمة الصوتية للغة العربية للوصول إلى تعليم الأعاجم لغة القرآن الكريم ومن العلماء الذين مهدوا لهذا العلم في العربية "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، "وسيبويه"، وبعدهم ابن جني، وغيرهم[٢].

المطلب الثاني: المدارس اللسانية

نتج عن تطور اللسانيات في القرن العشرين نشوء عدد من المدارس اللسانية في أماكن مختلفة من العالم اهتمت بهذا العلم الذي ظهر في العصر الحديث، إذ ظهرت الكثير من المدارس اللسانية ومنها: [٣]

١- المدرسة الروسية: " مفهوم المنظومة ومفهوم الفونيم " ومن أهم أعلامها "بودوان دي كورتني"، "زيندر".

٢- مدرسة جنيف: وركزت على مفهوم البنية ومن أهم أعلامها "فرديناند دي سوسير"، "مارتينيه".

٣- مدرسة براغ: أكدت مفهوم الوظيفة وأهم أعلامها "نيكولاي تروباتزكوي"، "رومان جاكبسون".

٤- مدرسة كوبنهاغن: اهتمت بنظرية العلاقة وأهم اعلامها "لويس يلمسليف".

٥- المدرسة الأمريكية: وانمازت من غيرها بالنظرية السلوكية ونظرية النحو التوليدي والتحويلي ومن أهم أعلامها "بلومفيلد سابير"، "نعوم تشومسكي" وثمة محاولات تصبو إلى تشكيل مدرسة لسانية عربية يسعى من أجلها الكثير من اللغويين العرب وعلى رأسهم عبد القادر الفاسي الفهري من المغرب وعبد الرحمن الحاج صالح من الجزائر، وعبد السلام المسدي من تونس، ورضوان القضماني ومنذر عياشي ومازن الوعر من سوريا، وإبراهيم أنيس وكمال بشر وتمام حسان وأحمد مختار عمر من مصر، وميشال زكريا وبسام بركة وموريس أبو ناضر من لبنان، وغيرهم ممن كتب في علم اللسانيات لما له من أهمية في دراسة اللغة البشرية التي تعد الوسيلة الأولى للتفاهم بين البشر وربط ماضيهم بحاضرهم ومستقبلهم[٤].

المطلب الثالث: السبك ودلالته

السبك (Cohesion) يطلق هذا المصطلح ويراد به تعلق كلمات النص بعضها ببعض من أوله إلى آخره أي المكونات التي تجعل من النص كلًا موحدًا متماسكًا دالًا، لا محض سلسلة من الكلمات والجمل غير المترابطة[٥]. أما السبك من حيث المعنى اللغوي فهو مصدر سبكت الفضة وغيرها والسبيكة: الذهب والفضة في مسبكه. وقيل السبيكة المكان الذي لا يأل أحد أن يرقاه[٦]. وفي قراءة للدكتور (تمام حسان) السبك: هو إحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك حسن استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الرابط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية، حين تدعو دواعي الاختيار الأسلوبي، ورعاية الاختصاص والافتقار في ترتيب الجمل[٧]. وهذا الكلام يكاد يطابق معنى ما قاله "هاليداي" و"رقية حسن" من انقسام السبك إلى سبك معجمي، وسبك نحوي[٨]. وذكرا أن للسبك درجات وهي تتوقف على عدد الوسائل المستخدمة فكلما ازداد عدد الوسائل السابكة في نص، ارتفعت درجة السبك فيه ومن ثم درجة النصية، والعكس صحيح كما أن هذه الدرجة تتفاوت داخل النص الواحد، فقد تزيد في جزء وتقل في آخر،كما أنها قد تكون عالية داخل الفقرات،وهابطة في ما بين هذهومصطلح السبك أوثر مقابلًا عربيًا مناسبًا بـ(Cohesion) في الإنكليزية من قبل عدد من الباحثين أمثال الدكتور سعد مصلوح[٩]، والدكتور محمد العبد[١٠]، والدكتور جميل عبد المجيد[١١]، فقد قرر هؤلاء الباحثون أن مصطلح السبك أقرب شيء إلى مفهوم المراد وأكثر شيوعًا في أدبيات النقد القديم.

وقد ترجمه غيرهم إلى غير ذلك حيث ترجمه الدكتور محمد خطابي إلى (الاتساق) في كتابه لسانيات النص ص١١، وترجمه الدكتور سعيد بحيري إلى (الترابط)، في كتابه علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ص١٢٠، وترجمه الأزهر الزناد إلى (التماسك) في كتابه (نسيج النص – بحث فيما يكون به الملفوظ نصًا) ص١٥[١٢].

المبحث الثاني السبك النحوي

توطئة

إن السبك النحوي يتمثل في وجود أدوات واضحة الظهور تجمع بين أجزاء النص وتجعلها مترابطة ترابطًا محكمًا، علمًا أن لهذه الأدوات أكبر الأثر في لملمة شتات النص، حيث لا يمكن الاستغناء بجزء منه عن الأجزاء الأخرى، وقد عني علماء النص بهذه الأدوات وذكروا لها أمثلة كثيرة، وذلك لأثرها الفعال في خلق النص وتحقيق نصيته، ولولا هذه الأدوات لفقد النص وحدته وترابطه وأصبح مجرد كلمات وجمل مفككة، وهذا ما يجعله يفقد نصيته[١٣]، " فلكي تكون لأي نص نصيته ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة"[١٤]. والوسائل هي: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والوصل. وسأقف على هذه الوسائل في المبحث، وستكون الدراسة على النحو الآتي:المطلب الأول: الإحالة.المطلب الثاني: الحذف والاستبدال.المطلب الثالث: الوصل

المطلب الأول: الإحالة

الإحالة لغة يقصد بها التحول عن الشيء فيقال حال الشخص يحول ويقال المحال من الكلام ما عدل به عن وجهه[١٥].

مفهوم الاحالة في التراث العربي: إن النحاة العرب الأوائل عندما درسوا الإحالة كان تناولهم لها يعتمد على نظرتهم إلى تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة، لها دلالة لكن لا يعرف لها خارج إلا متى توفر مفسرها وهذا المفسر قد يكون مقاميًا وقد يكون مقاليًا[١٦].وقد أشار سيبويه (ت١٨٠هـ) إلى الأسماء المبهمة التي تمثل سمة الإحالة البعدية في قوله: (فأما المبني على الأسماء المبهمة فقولك: هذا عبد الله معروفًا. فهذا اسم مبتدأ يُبنى عليه ما بعده وهو عبدالله. ولم يكن ليكون هذا كلامًا حتى يُبنى عليه أو يُبنى على ما قبله)[١٧]. ولعل أول من استعمل مصطلح الإحالة مصطلحًا نحويًا أو لغويًا من علمائنا الأوائل هو ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) إذ أفرد بابا باسم الإحالة (باب الإحالة والتغيير)، وذكر في باب التضمين "ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه إحالة، ويشير به إشارة، فيأتي به كأنه نظم الأخبار أو شبيه به[١٨].

وسائل الإحالة:

إن الإحالة عند النصيين المحدثين تمثل العلاقة بين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات[١٩]. وقد وجدت أربع وسائل إحالية لسبك النص وهي:

١. الإحالة بالضمائر.
٢. الإحالة بأسماء الإشارة
٣. الإحالة بالأسماء الموصولة.
٤. الإحالة بالمقارنة.

وسنقف على كل منها مستشهدين بأبيات من قصائد البردة:

١–الضمائر الشخصية:

الضمير هو ما وضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب تقدم ذكره لفظًا أو معنى أو حكمًا[٢٠]، ويقسم الضمير في العربية على ثلاثة أقسام: الضمائر المنفصلة: الضمائر المتصلة والضمائر المستترة[٢١]. وهذه الضمائر من أبرز أدوات السبك النصي لأنها تنوب عن الكلمات والعبارات والجمل المتتابعة بل إن وظيفتها تصل مبتغاها في الربط بين أجزاء النص المقامية أو المقالية القبلية أو البعدية علاوة على أن دلالة الكلام قد تكون غامضة والضمير هو ما يوضحها ويجمع شتات ما تناثر من عبارات ليربط بينها[٢٢]. وجدنا الإحالة بالضمائر في قصائد البردة واضحة المعالم كثيرة التكرار ولنقف على القصيدة الأولى وهي قصيدة كعب بن زهير فنقتطف منها ما يفي بالغرض قال الشاعر:

بانت سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثرَها لم يجز مكبولُ

افتتح الشاعر قصيدته بهذا البيت الغزلي قاصدًا للوصول إلى الاعتذار للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، فتراه يصرح باسم محبوبته سعاد في الشطر الأول من البيت ثم أحيل اليه بالضمير في الشطر الثاني في قوله إثرها.

وبهذه الافتتاحية يقصد الشاعر أن يظهر رغبته في الحياة فيتذكر الأشياء الجميلة في حياته السابقة على إهدار دمه الذي توعده الرسول (صلى الله عليه وسلم) به لنيله من المسلمين، فيذكر في قصيدته العصماء الكثير من الأبيات التي تحتوي على الضمائر المحال بها إلى الاسم الظاهر، ويستمر إلى أبيات الاعتذار فيقول:

يسعى الوُشاةُ بجَنبَيها وقولُهُمُ إنَّكَ يا ابنَ أبي سُلْمى لَمقتولُ
وقال كلُّ خليلٍ كنتُ آمُلُه لا أُلفينَّك إنّي عنك مشغولُ
فقلتُ خَلُّوا طريقي لا أبا لَكُمُ فكلُّ ما قدَّرَ الرحمنُ مفعولُ(٢٣)

نلتمس في هذه الابيات أنواع الضمائر فضمير الغائب الهاء في (جنبيها)، والضمير (هم) في (قولهم)، والكاف في (إنّك)، والتاء في (قُلتُ)، والكاف في (لكم)، فهذه الضمائر أكسبت النص قوة تعبيرية، إذ إنها ربطت بين أجزاء الكلام فأصبحت كأنها نص واحد. ومن الجدير بالذكر أن الضمير يعد رابطًا من الروابط الاسمية سواء كان بارزًا أو مستترًا؛ ذلك لأنه وإن كان مستترًا يدرك بالعقل ويستنبط من خلال المعنى؛ فإنه في بعض المواضع يأتي رابطًا للجملة التي يستتر فيها بالجملة التي قبلها(٢٤).

أما الشاعر البوصيري فقد زخرت بُردته بالضمائر الإحالية التي سنكتفي بذكر طائفة منها، قال في مطلع قصيدته:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجتَ دمعًا جرى من مقلة بدم

مثل الشاعر من نفسه شخصًا فقال له: ما بال دمعك أصبح غزيرًا، فنراه يعمد إلى ضمير التاء في (مزجت)، والضمير المستتر في (جرى) محالًا به إلى الاسم الظاهر، ثم يسترسل البوصيري قائلًا:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حبّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه إنّ الهوى ما تولّى يُصْمِ أو يَصِمِ
وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحْلَتِ المرعى فلا تُسِم

فقد ذكر الشاعر جملة من الضمائر منها ضمير الهاء في (تهمله)، والضمير المستتر في (شبَّ) وكذلك الهاء في (تفطمه) ظاهرا، وكذلك المستتر فيه، وكذلك في الفعلين (اصرف، وحاذر) والضمير المستتر في (تولّي) و(يصم) وكذلك الضمير المنفصل (هي) في البيت الثالث. وهذه الضمائر تعود إلى مذكور سابق لها: (النفس أو الطفل). فقد اكتسب النصّ بإحالة الضمير إلى الاسم الظاهر سبكًا نصيًا لا يخفى، وهذا يؤكد صحة آراء العلماء والنحويين الذين قالوا بكثرة استعمال الضمائر المتصلة في اللغة.

ومما جاء من الإحالة بالضمير في قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي

ريمٌ على القاعِ بَينَ البانِ والعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ
رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ
لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المُصيبِ رُمي
جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ
رُزِقتَ أَسمَحَ ما في الناسِ مِن خُلُقٍ إِذا رُزِقتَ التِماسَ العُذرِ في الشِّيَمِ(٢٥)

فيبدأ شوقي قصيدته بالغزل كسابقيه كعب والبوصيري فهو يتخيل محبوبته الظبي الجميل الذي يقف بين أشجار البان والجبل وهذا الظبي استحوذ على مشاعره أكثر من مناظر الغابة الخضراء ومنظر الجبل فاستعمل الشاعر الضمائر بأنواعها ومنها الضمير المستتر في الفعل (أحل) العائد على (ريم)، وكذلك الضمير المستتر في الفعل (رنا)، والضمير المتصل (الياء) في (حدثتني)، وكذلك الضمائر التاء والهاء في (جحدتها)، والتاء في (كتمت) سعيًا منه للوصول إلى الإحالة بهذه الضمائر إلى ما تقدم ذكره. وقد تنبه العرب على جملة من الجمل قدموا عليها ضمير الشأن، وتكون الجملة معبرة عن ذلك الضمير وتفسيرًا له وكانوا لا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم؛ لذلك أطلق النحويون عليه تسمية (ضمير الشأن).

٢- الإحالة بأسماء الإشارة:

تعد أسماء الإشارة من الألفاظ المبهمة إذ إنها لا تختص بشيء دون غيره كما لا يلزمها البيان عند الالتباس، وعدها النحاة من الحروف ودلالة ذلك ثبوت النون معها فتقول: (ذانك، وتانك)، فلو كانت أسماء لوجب حذف النون وجُرّت بالإضافة. وقد ربطت أسماء الإشارة بالحروف وقد تنبه العلماء الى وظيفتها في الاستعمال، فقد تكون بديلًا عن مفرد أو جملة أو نص، وتشترك مع ضمير الغيبة غالبًا لتشكل

حكمًا في قضية سابقة أو تنقل ما سبق لينسحب على ما يلحق[٢٦].وتشير إلى عدد كبير من الأحداث فتفيد الاختصار والبعد والتكرار، وتقوم أسماء الاشارة بالربط القبلي والبعدي وهي تقوم بشتى أصنافها بالاحالة القبلية بمعنى أنها تربط جزءًا لاحقًا بجزء سابق، ومن ثم تسهم في اتساق النص[٢٧]. واسم الاشارة المفرد يتصف بالإحالة (الموسعة) أي إمكان الإحالة على جملة بأكملها أو متتالية من الجمل[٢٨]، علمًا أن للإشارة أركانًا لا بد من توافرها وهي[٢٩]:

١- المشير وهو المتكلم.

٢- المشار له وهو المخاطب.

٣- المشار إليه وهو المحال إليه.

٤- المشار به وهو الأداة.

ولأسماء الإشارة أهمية في إحالة النص وسنبين ذلك من خلال الأمثلة التي سنوردها في ثلاثيات البردة.

قال الشاعر كعب بن زهير معتذرًا للرسول (صلّى الله عليه وسلّم) واصفًا حاله:

لقد أقوم مقاما لو يقوم به — أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له — من الرسول بإذن الله تنويل

حتى وضعت يميني لا أنازعه — في كف ذي نقمات قيله القيل

لذاك أهيب عندي إذ أكلّمه — وقيل إنك مسبور ومسؤول[٣٠]

فيصف الشاعر هنا الحال التي كان عليها في اعتذاره للرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤكدًا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) سيعفو عنه وإن كثرت الأقاويل فقد جاء تائبًا مرتعدًا من هيبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ممثلًا صورته للفيل المخلوق العظيم فهو في وجل أمام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حتى يلقى الأمان منه. فهو يستعمل اسم الإشارة في قوله (لذاك أهيب عندي إذ أكلّمه)، والرعدة التي تصيب الفيل أصابت الشاعر حتى تجرأ ووضع يمينه في كف رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فقد استعمل اسم الاشارة هنا مكثفًا، أي مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له، رغبة في الاختصار أو تجنبًا للتكرار الممل الذي ينفر منه المتلقي[٣١]، ومثل ذلك ما جاء في قصيدة البوصيري عندما يذكر سجايا المصطفى (صلى الله عليه وسلم):

ما سامني الدهرُ ضيمًا واستجرتُ بهِ — إلّا ونلت جوار منه لم يضم

ولا التمست غنى الدارسين من يده — إلّا استلمتُ الندى من خيرِ مُستلمِ

لا تنكرُ الوحيَ من رؤياهُ إنَّ لهُ — قَلْبًا إذا نامَتِ العَيْنانِ لَمْ يَنمِ

وذاكَ حينَ بُلوغٍ مِنْ نُبُوَّتِهِ — فليسَ يُنْكَرُ فيهِ حالُ مُحْتَلِمِ [٣٢]

فالشاعر هنا أراد أن يقول: عندما أستجير بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من وقوع الضرر والظلم علي من الدهر أجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى جواري بروحه وحكمته وسنته المطهرة لينير لي الطريق ويرفع عني الظلم.ثم يؤكد أن رؤيا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المنام رؤيا حق ولا يستطيع الشيطان أن يظهر بصورته ثم يعمد إلى استعمال اسم الاشارة في البيت الأخير محيلًا به إلى الصفات التي ذكرها آنفًا. ثم يستطرد الشاعر حتى يختم بردته العصماء ويشير بها إلى ما سبق ذكره مصورًا لنا أبرع صور الإحالة بهذه الأداة قائلًا:

وهذه بردة المختار قد ختمت — والحمد لله في بدء وفي ختم

فنرى أن اسم الاشارة قد استعمل مكثفًا أي مشيرًا إلى عدد كبير من الأحداث السابقة له، رغبة في الاختصار أو تجنبًا للتكرار الممل الذي ينفر منه المتلقي[٣٣]. أما قصيدة أمير الشعراء فقد وجد الباحث فيها شذرات شعرية تحتوي على اسم إشارة إحالية في قوله:

يا أَحمَدَ الخَيرِ لي جاهٌ بِتَسمِيَتي — وَكَيفَ لا يَتَسامى بِالرَسولِ سَمي

المادِحونَ وَأَربابُ الهَوى تَبَعٌ — لِصاحِبِ البُردَةِ الفَيحاءِ ذي القَدَمِ

مَديحُهُ فيكَ حُبٌّ خالِصٌ وَهَوىً — وَصادِقُ الحُبِّ يُملي صادِقَ الكَلَمِ

اللَهُ يَشهَدُ أَنّـــي لا أُعارِضُهُ — من ذا يُعارِضُ صَوبَ العارِضِ العَرِمِ

وَإِنَّما أَنــا بَعضُ الغابِطينَ وَمَن يَغبِط وَلِيَّــكَ لا يُذمَم وَلا يُلَمِ
هَـذا مَقامٌ مِنَ الرَحمَنِ مُقتَبَسٌ تَرمــي مَهابَتُهُ سَحبانَ بِالبَكَمِ

يبين أمير الشعراء في هذه اللوحة الأدبية أنه لا ينسى فخره أنه تسمى باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) أحمد ويؤكد أن تسميته باسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو غنى وجاه في المقام لمجرد أن يتصف بصفة الحمد ويتبع هذا الثناء بقوله بأن كافة المادحين والمحبين لرسول الله الكريم (صلى الله عليه وسلم) هم توابع للمادح الأول والمحب الأول صاحب البردة العظيمة البوصيري، فمدحه حزب من التدين الخالص والحب العميق(٣٤). فحب البوصيري للرسول صادق إذ إن الحب الصادق يعطي المعنى الصادق في الكلمة الصادقة ويتواضع شوقي تجاه هذا الشاعر العظيم ويقر حالفًا بالله بانه لم يقصد بكتابته (نهج البردة) أن يعارضه، وإنما هو يعرف أن هذا الشاعر لا يمكن أن يضاهى، فالبوصيري في نظر شوقي كالسيل الممطر والسحاب المعترض في الأفق، فهل يستطيع شوقي بتواضعه أن يكون على نفس المستوى الفني وهو يقر مرة أخرى أنه لا قبل له بهذا الشاعر الكبير، وإنما يتمنى أن يكون إلى جواره طالبًا من الله أن يحتسب شعره مديحًا إلى جوار مدح البوصيري لخير البشر، ويقول شوقي إن تعرضه لمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) يصبه بالبكم، وكأنما هو أبكم أمام فصاحة سحبان الذي يضرب بفصاحته المثل، وكأنما يريد شوقي أن يبين قوله أمام البردة للإمام البوصيري وفي ذهنه القول الشهير (أين الثرى من الثريا)(٣٥)، وهذه غاية في التواضع من الشاعر. وبعد أن ذكر هذه القيم والمثل السابقة استعمل الإحالة إليها باسم الإشارة (هذا) بقوله: هذا مقام من الرحمن. والغرض من الأبيات بالاسم المبهم "هذا " ثم التغيير إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم لأن النفوس تتشوق إذا سمعت المبهم إلى العلم بالمقصود منه وأيضًا في ذكره الشيء مرتين: مبهمًا مفسرًا توكيداً لباقي ذكره (٣٦).

٣- الاحالة بالاسم الموصول:

إن وظيفة أسلوب الوصل تتمثل بأن يقوم بالربط بين جملتين بحيث تصير الثانية وصفًا لأحد عناصر الجملة الأولى مما يجعله من أهم الأساليب التي تحقق الاتساق النصي كما يشترط وجود مرجع يعود عليه اسم الإشارة فوجود اسم ظاهر يعود عليه الاسم الموصول شرط لا بد منه كذلك ويحمل هذا الاسم الموصول صفات العائد عليه نفسها من جنس ونوع، وهناك شرطان لا بد من توافرهما في هذا الأسلوب هما: عوده على اسم ظاهر واشتماله على رابط، فالاسم الموصول يقوم بتعويض العائد عليه ليغني عن تكراره بلفظه، فيجب التطابق بين الاسم الموصول (العائد) والاسم الظاهر العائد عليه(٣٧). ومثال ما جاء من اسم الموصول في قول كعب بن زهير:

أُنبئتُ أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول
مهلًا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعظ وتفصيل

فهنا يخاطب الشاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائلًا له: انتظر أيها المهدي الذي هداه إليه فاصفح عني وبالحق الذي منحك القرآن بما فيه من عظات وآيات بينات عطية زائدة على الحق (النبوة)، فأنت صاحب القرآن وبحق هذا القرآن لا تحاسبني على أقوال هؤلاء الوشاة(٣٨).

فالإحالة هنا بالاسم الموصول (الذي) أدت إلى تماسك النص، فقد ربط الشاعر فيها السابق باللاحق، ونظير ذلك قول أمير الشعراء:

ما ضارَعَتها بَيانًا عِنــدَ مُلتَأَمٍ وَلا حَكَتها قَضــاءً عِندَ مُختَصَمِ
ولا احتَوَت في طِرازٍ مِن قَياصِرِها عَلى رَشيــدٍ وَمَأمونٍ وَ مُعتَصِمِ
مَنِ الَّذينَ إِذا ســارَت كَتائِبُهُم تَصَرَّفوا بِحُــدودِ الأَرضِ وَ التُخَمِ
وَيَجلِسونَ إِلــى عِلمٍ وَمَعرِفَةٍ فَلا يُدانَونَ فــي عَقلٍ وَلا فَهَمِ

فالشاعر هنا يقارن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى وحضارات الأقدمين وبين الشرائع الإسلامية والتشريعات الأخرى كما أنه يقارن بين الخلفاء المسلمين الذين عكفوا على العبادة والجهاد وبين أولئك الظلمة الذين حكموا شعوبهم بالقهر والجبروت فلا غرو أنّ البون شاسع بين الفريقين(٣٩)، ولا يخفى ما للاسم الموصول من أثر بالغ في ربط أجزاء الكلام.أما البوصيري فقال:

دع ما دعته النصارى في نبيّهم واحكم بما شئت مدحًا فيه واحتكم

فالشاعر هنا يذكر الخصال الحميدة للرسول (صلى الله عليه وسلم) مبتعدًا عن الغلو فيه بما ادعت النصارى بعيسى (ع) من ألوهية لا يرضاها الإسلام ولا يقبلها صاحب الفطرة السليمة(٤٠)، إن الاسم الموصول الذي جاء في هذا البيت على الرغم من كونه من المبهمات إلى أنه عمد إلى إحالة المعنى اللاحق على المعنى السابق تحقيقًا لتناسق العبارات وتوسيع المعنى.

٤- الاحالة بالمقارنة

إن مفهوم المقارنة يقتضي وجود عنصرين يقارن بينهما النص بعناصر لغوية محددة لا تختلف عما ذكرناه آنفا من الضمائر وأسماء الإشارة والموصول في كونهما يسهمان في السبك النصي(٤١). وتنقسم الإحالة بالمقارنة على:

أ- المقارنة العامة: وتأتي بالألفاظ التي تعبر عن التشابه مثل (شبيه، مشابه) والألفاظ التي تعبر عن التطابق مثل (نفسه، عينه، مطابق، مكافئ، مساوٍ، مماثل، قبيل، مثيل، نظير، مرادف) والألفاظ التي تعبر عن التخالف مثل (يضاد، يعاكس) والألفاظ التي تعبر عن الآخرية مثل: (الآخر، أيضًا، البديل، الباقي).

ب- المقارنة الخاصة: تتفرع إلى كمية نحو (أكثر) وكيفية نحو (أجمل) وهي بذلك تؤدي إلى سبك النص، من خلال ربط العناصر المقارنة في جمل مختلفة ومن ثم تنتظم تلك الجمل بهذه الأدوات نصيًا.

وتتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تحمل معنى بنفسها بل تحتاج إلى ما يفك غموضها؛ لذلك عدت وسيلة من وسائل السبك النحوي فأينما جاءت هذه الألفاظ اقتضى من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم لفك الإبهام وفهم المقصود من النص، ومن شواهد المقارنة في ثلاثيات البردة(٤٢) ما جاء من شواهد الإحالة بالمقارنة في قصيدة كعب في قوله وهو يصف سعاد:

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قِصَر منها ولا طول

فالشاعر هنا يستعمل صفات مختلفة تجملت بها سعاد فهي هيفاء أي ضمور البطن ودقيقة الخاصرة وهي كذلك عجزاء كبيرة الردف تقابلها صفتان أخريان لا يشتكى فيها قصر ولا طول فهذا نوع من الإحالات الخاصة. وما جاء من إحالة بالمقارنة في هذه القصيدة:

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيل

فهنا يصف الشاعر الرسول وصفًا روحانيًا فالرسول (صلى الله عليه وسلم) في نظره نور يهدي إلى الحق ثم يقرن هذه الصفة بصفة أخرى تماثلها في الثناء حيث يمثله بسيف يزهق به الباطل وهذا السيف يلمع فيظهر لمعانه على البعد فيهدي التائهين إلى مكان الجماعة وهذا السيف الهندي هو أعظم السيوف وأنبلها وهو لا يخرج من غمده إلا لأمر عظيم وكأنما الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو نور في حد ذاته وهو سيف صقيل وينعكس هذا النور على هذا السيف الصقيل فيظهر لمعانه على البعد فيهدي الكافرين الى الصراط المستقيم. ثم يذكر الشاعر المهاجرين وكيف انتقلوا من مكة إلى المدينة وهم أعزاء ليسوا أذلاء فهم هاجروا بإيمانهم حرصًا على دينهم، فهم بهذه الصفات الحميدة ارتفعوا إلى مكانة سامية نالوا بها الرقي في الدنيا والآخرة (٤٣). فنجد أن الاحالة بالمقارنة بهذه الصفات قد أسهمت بوضوح في السبك النصي لهذه الأبيات. ومن الإحالة بالمقارنة قول البوصيري مادحًا الرسول (صلى الله عليه وسلم):

فاق النبيّين في خَلق وفي خُلُق ولم يدانوه في علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس غرفًا من البحر أو رشفًا من الديم

فرسول الله (صلى الله عليه وسلم) سيد الخلق جميعًا وله مكانته التي لا تدانيها مكان لأحد فكل الأنبياء (عليهم السلام) مقتبسون من علمه وناهلون من كرمه فقد ساوى الشاعر بين شيئين وهما الغرف من البحر والرشف من الديم وهذه المقارنة الإحالية قد أضفت على النص رونقًا من الحسن لا يخفى على اللبيب. ومن الإحالة بالمقارنة ما جاء في بردة أمير الشعراء في قوله:

يا نفس دنياك تخفى كل مبكية وان بدا لك منها حسن مبتسم
ففضّي بتقواك فاهًا كلما ضحكت كما يفضّ أذى الرقشاء بالثرم

فالشاعرينصح نفسه بألّا تغترّ بمباهج الدنيا وابتسامتها فقد تخفي في الغيب ما يبكي ويحزن فمثلها في ذلك مثل الحية الرقطاء تخفي في فمها السم، والابتسام لا يأتي إلا من الفم والسم لا يأتي إلا من الفم كذلك، فوضح شوقي ابتسام الدنيا الزائف نظيرًا لسم الحية(٤٤). نستكشف من كل ما سبق أن الشاعر قد عقد مقارنة بين الدنيا والحية الرقطاء تجتمعان في حسن المظهر مع خبث المخبر، فهذه المقارنة شكلت رابطًا بين أجزاء النص السابق باللاحق وحققت سبكًا قويًا للنص(٤٥).

المبحث الثالث

السبك بالحذف والاستبدال:

المطلب الاول: السبك بالحذف:

لا تخلو اللغات الإنسانية من ظاهرة الحذف إذ إنه يمثل ضربًا من الإيجاز في كلامها ويتجلى ذلك أكثر في اللغة العربية إذ إنها قائمة على الإيجاز وإيصال المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.والحذف لغة:هو القطع والإسقاط: جاء في الصحاح"حذف الشيء إسقاطه يقال حذفت من شعري ومن ذنب الدابة اي اخذت... وحذفت رأسه بالسيف اذا ضربته فقطعت منه قطعة "(٤٦)، وفي لسان العرب:"حذف الشيء يحذفه حذفا قطعه من طرفه،والحجّام يحذف الشعرمن ذلك....والحذف الرمي عن جانب والضرب"(٤٧).ويشير البلاغيون إلى ضرورة تقدير المحذوف حتى لا يحمل الكلام على ظاهره وحتى يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزوم الحكم بالحذف راجع إلى الكلام نفسه لا إلى غرض المتكلم(٤٨). قال عبد القاهر الجرجاني: " هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبن"(٤٩).

أسباب الحذف: ثمة أسباب تستدعي المتكلم إلى الحذف، منها:

١- كثرة الاستعمال: وقد ذهب العرب إلى التعليل في الحذف بكثرة الاستعمال وقد ذكر سيبويه أنواعًا مختلفة من الحذف، وذكر أن ما حذف في الكلام لكثرة الاستعمال كثير، منه حذف ياء المتكلم في نداء "يا ابن أم – وأيا ابن عم " لكثرته في كلامهم، ولذا لم يحذف الياء في (يا ابن أبي) – ويا غلامي؛ لأنها في العبارتين الأخريين أقل استعمالًا عندهم(٥٠). وما حذف لكثرة الاستعمال في قول العرب: الجار قبل الدار، الرفيق قبل الطريق، وهنا لا بد من تقدير فعل محذوف هو (تخير) أو ما في معناه(٥١).

٢- الحذف لطول الكلام:إن إطالة الكلام من الأسباب التي دفعت العرب إلى اللجوء إلى الحذف حرصًا على الابتعاد من ثقل الكلام وجنوحًا منهم الى تحقيق الإيجاز والقوة في النص(٥٢).

ومنه قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد: ٣١] ولم يذكر الجواب في الآية، والتقدير " لكان هذا القرآن " ومما اطرد حذفه طلبا لعدم الإسهاب في القرآن الكريم وفي كلام العرب: القول، وكذلك صدر صلة الموصول فمثال الأولى قوله تعالى: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران: ١٠٦]. ومثال الثانية قولهم: جاء الذي هو ضارب زيدًا، فيجوز حذف (هو)، فتقول: جاء الذي ضارب زيدًا(٥٣).

ومثله قول الشاعر":

إذا ما لقيت بني مالك فسلم على أيهم أفضل(٥٤)"

٣- الحذف للضرورة الشعرية:ذهب النحويون إلى أن للشاعر رخصة لا تجوز لغيره من استعمال الضرائر الشعرية من حذف أو مخالفة للقياس النحوي وصولا إلى تحقيق الوزن الشعري السليم من العلل، وقد قُصِر هذا التجوز على شعراء مرحلة الاحتجاج دون المحدثين(٥٥)، ومنه قول الشاعر:

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكم عليَّ إذًا حرام(٥٦)

٤- الحذف للإعراب:من الأمور المسلم بها لدى النحاة أن الإعراب هو ما يحدث من تغيير في أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها، ولكن قد يدخلها الحذف بعد أن كانت حركات ظاهرة كالفعل المضارع الذي يرفع بالضمة إذا كان مجردًا عن عوامل الجزم ولكن الحركة هذه تحذف إذا دخلت عليه إحدى أدوات الجزم (٥٧) فمثال الأولى قوله تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [البقرة: ٢٤٥]. ومثال الثانية قوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٣-٤].

٥- الحذف للتركيب:ثمة ألفاظ في العربية ركبت من مقطعين تسمّى المركبات كالمركب الإضافي والإسنادي والمزجي والنسبي فمن المركب المزجي ما ركب من الأعداد من أحد عشر إلى تسعة عشر فالعدد(اثنا عشر) مثلًا يحذف منه نون (اثنان) وواو العطف قبل (عشر)(٥٨)، ومنه قوله تعالى: {وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [البقرة: ٦٠].

أنواع الحذف

١-حذف الجملة:

وهذا النوع من أظهر أنواع الحذف، إذ إنه أكثر أنواعها ورودًا في الكلام ويأتي الحذف في الجمل على أوجه مختلفة ويتجلى ذلك في الجمل الأسلوبية والجمل الشرطية والجمل الفعلية والاسمية. ولا بد لنا من معرفة العناصر التي يدخلها الحذف في هذه الجمل.

٢-حذف المسند إليه

يحذف المسند إليه إذا كان ظاهرًا بدلالة القرائن، فذكره حين (إذًا) يعد عبثًا[٥٩]، مثال حذفه قوله تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} [الذاريات: ٢٩] ، أي أنا عجوز عقيم. ويحذف المسند في الكلام وذلك لأغراض يقتضيها المقام ومن أهمها قصد الاختصار، وطلبًا للايجاز. إن من الأمور المسلم بها أن العرب تميل بكلامها إلى تقليل الالفاظ وتكثير المعاني، مع قصد الاقتصاد والاحتراز عن العبث بناء على الظاهر مع ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع [٦٠] كقول ضابئ البرجمي من أبيات قالها في الحبس:

ومَن يكُ أمسى بالمدينة رحلُهُ فإني وقيّار بها لغريب[٦١]

تقديره: فإني وقيّار كذلك، والباعث على تقديم (قيّار) على خبر (إنّ) قصد التسوية بينهما في التحسر على الاقتراب، وعليه. قوله تعالى: {يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} [التوبة: ٦٢]، تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك.

٣-حذف المفعول

ومن أنواع الحذف حذف المفعول، فللفعل رابطة بكل من الفاعل والمفعول، وإن تنوعت جهتها. فارتباطها بالفاعل بإفادة وقوعه منه لا إفادة وجوده في نفسه فحسب، وارتباطها بالمفعول لبيان وقوعه عليه. وباختلاف نوع الارتباط اختلف العمل، فعمل الفعل في الفاعل الرفع، وفي المفعول النصب. أما إذا أريد الإخبار بوقوع الفعل في ذاته من غير إرادة أن يعمل وممن وقع أو على من وقع، فالعبارة التي تدل على ذلك أن يقال: كان ضرب أو رفع أو وجد، أو نحو ذلك من الألفاظ التي تدل على الوجود المجرد. إذا علمت ذلك نقول: الفعل المتعدي إذا أسند إلى فاعله ولم يذكر له مفعول فهو إفادة الاختصار في تحققه لدى السامع[٦٢]، كقوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} [القصص: ٢٣]، فتقدير الكلام: يسقون غنمهم وتذودان غنمهما. فحذف المفعول فإن الغرض هو الفعل لا المفعول[٦٣].فأن الغرض الفعل لا المفعول وما اوردناه من حذف احد طرفي الاسناد في الجملة الأسمية وكذلك الفضلة في الجملة الفعلية وهو المفعول به بوغيتنا مايحدث للجمل من حذف على مختلف أنواعها ,كأن يحذف جواب الشرط من الجملة الشرطية او مايحدث من حذف في جملة النداء,وسنذكر امثلة للحذف على نحو ماجاء في التنظير آنفاً من حذف للجمل ثم الاسم ثم المفعول به وسنذكره مرتباًعلى هذا النسق, فمما جاء من حذف الجمل في ثلاثيات البردة قول كعب:

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول

فقد حذف جواب الشرط من جملة إذا ابتسمت لدلالة ما قبله عليه. ونرى أن جملة جواب الشرط قد حذفت أيضًا في قوله:

فيا لها خلّة لو أنّها صدقت بوعدها أو لو أنّ النصح مقبول

فكذلك حذفت هنا جملة جواب الشرط بعد الأداة (لو)، وكذلك حذفت الجملة الفعلية قبل المصدر المؤكد لفعله في قوله:

مهلًا هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

أي تمهل مهلًا، وكذلك نجد أن الحذف يدل على جملة مقول القول وذلك في قوله:

وقالَ لِلْقَوْمِ حادِيهِمْ وقدْ جَعَلَتْ وُرْقَ الجَنادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَى قِيلُوا

إن الشاعر قد ذكره في أبيات لاحقة في قوله:

تَسْعَى الوُشاةُ جَنابَيْها وقَوْلُهُم إنَّك يا ابْنَ أبي سُلْمَى لَمَقْتولُ

وقالَ كُلُّ صديق كُنْتُ آمُلُهُ لا أُلْفِيَنَّكَ إنِّي عَنْكَ مَشْغولُ

فَقُلْتُ خَلُّوا سَبيلي لاَ أبا لَكُم فَكُلُّ ما قَدَّرَ الرَّحْمنُ مَفْعولُ

وكذلك حذف جملة القسم قبل اللام التي أشعرت به وذلك في قوله أيضًا:

لَقَدْ أقُومُ مَقامًا لو يَقومُ بِه أرَى وأَسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ

لَظَلَّ يرْعُدُ إلاَّ أنْ يكونَ لَهُ مِنَ الرَّسُولِ بِإذْنِ اللهِ تَنْويلُ[٦٤]

أما البوصيري ففي أبيات بردته نوع من أنواع حذف الجمل وفيها الجمل الأسلوبية ومن ذلك قوله:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم

فقد حذفت جملة النداء هنا لدلالة حرف النداء عليها.

لا طِيْب يَعْدلُ تربا ضَمَّ أعْظُمَهُ طُوْبى لِمُنْتشِقٍ مِّنْهُ وَمُلْتثمِ

أبانَ مَوْلِدهُ عَنْ طِيْب عُنْصُرِهِ يَا طِيْب مُبتدأ مِّنْهُ وَمُختتمِ

وكذلك حذفت جملة جواب الشرط طلبًا للإيجاز لدلالة الكلام عليه:

وساء ساوة أن غاضتْ بحيرتها ورُدَّ واردها بالغيظِ حين ظمي

كأنَّ بالنارِ ما بالماء من بللٍ حُزْنًا وبالماءِ ما بالنَّارِ من ضرمِ

وكذلك ورد الحذف في جملة القسم في قوله عندما يصف آيات الله:

فما تطاول آمال المديح إلى ما فيه من كرم الأخلاق والشّيم

آيات حقّ من الرّحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

قرّت بها عين قاريها فقلت له لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

إن تتلها خيفة من حرّ نار لظى أطفأت حرّ لظى من وردها الشّبم

أما أمير الشعراء أحمد شوقي فقد ذكر في نهج البردة أبياتًا تضمنت حذفًا للجمل ولا تختلف عن سابقيه، فمنها في أسلوب النداء ومنها في أسلوب القسم، فمثال الأولى قوله:

رمى القضاء بعيني جؤذر أسدا يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم

لما رنا حدثتني النفس قائلة يا ويح جنبك بالسهم المصيب رمي

يا لائمي في هواه والهوى قدر لو شفك الوجد لم تعذل ولم تلم

فقد حذفت جملة النداء فيما سبق لدلالة حرف النداء عليها. أما حذف جملة القسم فقد وردت في قوله:

لقد أنلتك أذنًا غير واعية ورب منتصت والقلب في صمم[٦٥]

وفيما ذكرناه كفاية مما ورد من أمثلة في ثلاثية البردة خشية الإسهاب علمًا أن الذي دل على الحذف فيما سبق هو السياق اللغوي إذ لا بد من إكمال بنية الجمل لكي يستقيم الكلام ويقيم معناه[٦٦].

٤-حذف الاسم بعد ان عرجنا على ما حذف من الجمل في ثلاثية البردة نقف هنا على ما حذف من مفردات، فقد جاء حذف المسند إليه وهو المبتدأ بقول كعب بن زهير حين يصف سعاد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيّم إثرها لم يجز مكبولُ

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلّا أغنّ غضيض الطّرف مكحولُ

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكى قصر فيها ولا طول

فقد حذف المبتدأ في البيت الثالث لدلالة ما قبله عليه وتقدير الكلام هي هيفاء وهي عجزاء. ونظير ذلك ما جاء في القصيدة قوله:

عيرانة قذفت بالنخض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول[٦٧]

أما البوصيري فقد جاء الحذف عنده بقوله:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم

ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أُصلّ سوى فرض ولم أصم

ظلمت سنّة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

فقد حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه. وتقدير الكلام هذه ظلمات[٦٨] ، ومثل ذلك قوله:

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فتقدير الكلام هو منزه.

أما قصيدة أمير الشعراء فقد جاء الحذف في مستهلها في قوله:

رِيمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ [٦٩]

وتقدير الكلام هو ريم لأن كلمة ريم نكرة لا يجوز الابتداء بها إلا إذا أفادت[٧٠].

ومثل ذلك قوله في وصف الخليفة عثمان (رضي الله عنه) واستشهاده:

أو كابنِ عفانَ والقرآنَ في يدِهِ يحنو عليهِ كما تحنو على الفُطُمِ

ويجمعُ الآيَ ترتيبًا وينْظمُها عقدًا بجيدِ الليالي غيرَ مُنْفصمِ

جُرحانِ في كَبِدِ الإسلامِ ما التَأَما جُرحُ الشَهيدِ وَجُرحٌ بِالكِتابِ دَمي

فقد حذف المبتدأ من البيت الثالث وتقدير الكلام هما جرحان.

٥-حذف المنصوبات:

ومن أنواع الحذف التي وردت في ثلاثيات البردة حذف المنصوبات ولاسيما المفعول به والحال وسنقف على شيء منها اكتفاء عن جميع الأمثلة فمثال حذف المفعول به ما جاء في قول كعب:

فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأماني والأحلام تضليل

فإن الفعل (منّت) والفعل (وعدت) من الأفعال المتعدية لكنه لم يذكر مفعوليهما في الكلام تحقيقًا للايجاز وتقدير الكلام: ما منتك إياه وما وعدتك به[٧١].

وكذلك حذف المفعول الثاني في قوله:

أنبئت أّن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

فإن الفعل (وعد) فعل متعد لمفعول واحد، فإذا دخلت عليه همزة التعدية[٧٢] أصبح متعديًا لمفعولين، وقد حذف المفعول الثاني مراعاة لضرورة القافية. أما البوصيري فقد كثر في بردته حذف المنصوبات، ومنها حذف الحال في قوله:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخم

فإن قوله (من جوع) جار ومجرور متعلقان بحال محذوف من الدسائس تقديرها آمنة. وكذلك حذفت الحال بدلالة الجار والمجرور عليها في قوله:

ولا تطع منهما خصمًا ولا حكمًا فأنت تعرف كيد الخصم والحكم[٧٣]

فإن الجار والمجرور منهما متعلقان بحال محذوف من (خصم) التي هي مفعول به[٧٤]. أما أمير الشعراء أحمد شوقي فقد وردت قصيدته نهج البردة مواضع حذف المفعول به، منها قوله:

والأرض مملوءة جورًا مسخّرة لكلّ طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيّته وقيصر الروم من كبر أصمّ عم

يعذّبان عباد الله في شبه ويذبحان كما ضحّيت بالغنم

فالشاعر هنا وصف حال الخلائق قبل مبعث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وطغيان الملوك وظلمهم للضعفاء، فذكر الفعل يذبحان ولم يذكر مفعوله لدلالة ما قبله عليه، وهو الفعل يعذبان ثم نراه يحذف المفعول به في موضع آخر مراعاة لضرورة القافية الشعرية، وذلك حين يقول في وصفه معراج النبي محمد (صلى الله عليه وسلم):

حتّى بلغت سماءً لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم

وقيل كلّ نبيّ عند رتبته ويا محمّد هذا العرش فاستلم[٧٥]

فقد حذف المفعول به من الفعل استلم.

ونرى أن الحذف يدخل على الحروف في هذه القصائد مثال ذلك ما جاء في قول كعب بن زهير:

فما تَدومُ عَلَى حالٍ تكونُ بِه كَما تَلَوَّنُ في أثْوابِها الغُولُ

ولا تَمَسَّكُ بالعَهْدِ الذي زَعَمَتْ إلّا كَما يُمْسِكُ الماءَ الغَرابِيلُ

فتمسك هنا مضارع حذف إحدى تائيه[٧٦] ودخلت طلبًا للتخفيف وعدم التكرار.

ونظيره قوله تعالى: {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} [الليل: ١٤].

المطلب الثاني :الاستبدال :

الاستبدال لغة: من البدل وهو قيام شيء مكان شيء آخر[٧٧].الاستبدال في التراث العربي:لم يغفل النحاة العرب عن تناولهم للاستبدال اللغوي إذ إنه نشأ مع نشأة اللغة ورد في الكتاب عن سيبويه قال " وسألت الخليل عن قوله جل وعز: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ} [الروم: ٣٦] فقال: هذا كلام معلقٌ بالكلام الأول كما كانت الفاء معلقةً بالكلام الأول وهذا ها هنا في موضع قنطوا كما كان الجواب بالفاء في موضع الفعل. قال: ونظير ذلك قوله: {سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ} [الأعراف: ١٩٣] بمنزلة أم صَمَتّم [٧٨] أي جملة (إذا هم يقنطون) مستبدلة من الفعل (قنطوا) وجملة (أم أنتم صامتون) مستبدلة من (صَمَتّم), وفي الحقيقة إن سيبويه لم يشر الى مصطلح الاستبدال لكنه أشار الى القدرة الاستبدالية للعناصر اللغوية باستعمال بعض الكلمات والعبارات التي تدل على الاستبدال مثل: (بمنزلة، جرى مجرى، وقع موقع، كأنك قلت، في معنى، في موضع)[٧٩]. ومن الجدير بالذكر أن مصطلح الإبدال كان شائعًا لدى علماء العربية وخير دليل على ذلك ما جاء لدى الاصمعي وابن جني، فيما أورده أبو الطيب اللغوي[٨٠].

انواع الاستبدال :

في الاستبدال خصيصة غير حقيقية وهي كونه محدود الأساليب والعبارات كما سيتضح لنا من خلال بيان أنواعه " فجعلوا في الاستبدال محدودية بشكل ما مختلف عن الاتساع والثراء الذي نجده في وسائل الاحالة المتنوعة: الضمائر، أسماء الاشارة، الموصولات، بعض الظروف[٨١] وإن إنعام النظر في النصوص اللغوية يظهر أن عناصر الاستبدال أوسع مجالًا من هذه الألفاظ التي ذكروها وأرادوا حصر الاستبدال فيها، وهذا ما سنقف عليه في بيان مواطن الاستبدال في هذا المبحث وهي على النحو التالي[٨٢]:

١- الاستبدال الاسمي: يقع الاستبدال في بعض الأسماء مثل كلمة آخر، نفس، ذات، أحد، إحدى.

٢- الاستبدال الفعلي: يتم باستعمال الفعل " يفعل " واشتقاقه وما شابه فيكون الاستبدال بفعل أو جملة ومن ذلك قوله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المنافقون: ٩]، فقد استبدلت كلمة (يفعل) بـ(تلهكم)[٨٣].

٣- الاستبدال القولي أو العباري: إن هذا النوع من الاستبدال لا يكون استبدال لكلمة داخل جملة وإنما هو استبدال بجملة أو تتابعات جملية ويكون باستعمال أحد أسماء الإشارة مثل " تلك، ذلك، هذا " كقوله تعالى : {قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ. قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ. فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [الشعراء: ١٨-٢٢].

فجاءت لفظة " تلك " لواردة في قوله تعالى: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ} لتكون بديلًا عن جملتين هما: {أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ}، وعلى النحو الاتي: [٨٤]

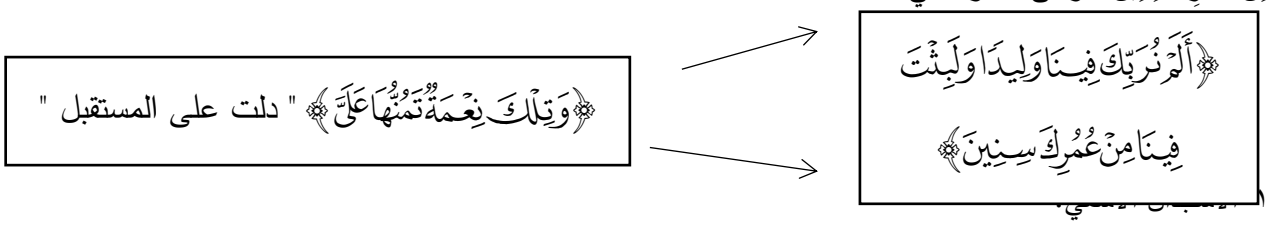

يقع الاستبدال الاسمي بين اسم واسم أو ضمير واسم، وسنقف على بعض من هذه الأمثلة في ثلاثيات البردة يقول البوصيري:

وءِ ما اتَّعَظَت ... الشَّيْبِ والهَرَمِ
فِعلِ الجميلِ قِرَى ... ي غيرَ مُحتشِمِ
ي ما أُوَقِّرُهُ ... ي منه بالكَتَمِ
ح مِن غَوَايتِهَا ... لخيلِ باللُّجُمِ
سي كَسْرَ شهوَتهَا ... شهوةَ النَّهِمِ
إِنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... نْ تَقْطِمْهُ يَنفَطِمِ

فترى أن الشاعر في هذه الابيات قد أومأ في بداية هذه الأبيات الى صفة النفس وكيف أنها تأمر صاحبها بالسوء إذ إنها لا تتعظ بتقدير الشيب ثم يستطرد الشاعر بذكر صفات هذه النفس التي تجمح بصاحبها الى الهلاك كالفرس الذي لا يقوى عليه صاحبه فقد يورده موارد الهلكة. فقد استبدل الوصف بالموصوف وهي النفس(٨٥). ونرى الاستبدال في قصيدة البردة يرد في الاسم محالًا إلى الضمير وذلك في قوله:

دَع ما ادَّعَتهُ النصارى في نَبِيِّهِم واحكُم بما شئتَ مَدحًا فيه واحتَكِم
وانسُبْ الى ذاتِهِ ما شئتَ مِن شَرَفٍ وانسُب الى قَدْرِهِ ما شئتَ مِن عِظَمِ

فإن كلمة " ذات " هنا إحالة إلى شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي كنى عنه بالضمير في البيت السابق. وربما نجد العودة معكوسة في الإحالة فقد يستبدل الاسم الظاهر بالضمير لدلالة ما قبله عليه فيقول:

وخالفِ النفس والشيطانَ واعصهما وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصحَ فاتهم
وَلا تُطِعْ منهما خَصْمًا وَلا حَكمًا فأنْتَ تَعْرِفُ كيْدَ الخَصْمِ والحَكمِ(٨٦)

وقد يحدث الاستبدال في اسم الاشارة فيحال بها إلى الكلام السابق من ذلك قول أمير الشعراء:

ونودِيَ: اقرأْ. تعالى اللهُ قائلُها لم تتصلْ قبل مَن قيلتْ له بفمِ
هناك أَذَّنَ للرّحمنِ، فامتلأَت أَسماعُ مكَّةَ مِن قُدسيّة النَّغمِ

فهنا يعرض الشاعر موضوع بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ويصف الشاعر قوله تعالى (اقرأ) بأنه أمر منزل من الله تعالى على رسول (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل الامين وكان قول الله هو الذي وصلها بذاته فلم تتصل هذه الكلمة بفم البشر قبل ذلك بمثل هذه الحلاوة وهذه الطلاوة.ثم يصف الشاعر بعد ذلك خروج الرسول (صلى الله عليه وسلم) مبلغًا أهل مكة بدعوتهم إلى التوحيد (٨٧) فقد استبدل الشاعر الكلام السابق باسم الاشارة هناك.

٢-الاستبدال الفعلي كما حدث الاستبدال في الأسماء فيما مر بنا آنفًا فإنه يحدث في بعض الأفعال التي تدل على ما قبلها، ومنها قول البوصيري:

إن آت ذنبًا فما عهدي بمنتقض من النبي وما حبلي بمنصرمِ
فإنَّ لي ذمة منهُ بتسميتي مُحمدًا وَهُوَ أوفى الخلق بالذِّمَمِ
إنْ لَمْ يَكُن في مَعادِي آخِذًا بِيَدِي فضلًا وإلّا فقلْ يازَلَّة القدمِ
حاشاهُ أنْ يحرمَ الرَّاجي مكارمهُ أو يرجعَ الجارُ منهُ غيرَ محترمِ
ومنذُ ألزمتُ أفكاري مدائحهُ وَجَدْتُهُ لِخَلاصِي خيرَ مُلْتَزِمِ

فيريد الشاعر هنا أن يقول (منذ أن تحرك لرسول الله ومنذ أن هز وجداني من الرسول ومنذ أن هامت روحي وتعلق قلبي به وبالملة السمحاء تحرك يراعي فأوقفت شعري على مدحه والقيت عليه أحمال ذنوبي ورجوته للشفاعة ووجدت فيه المتكفل بخلاصي من هذه الآثام والذنوب وبخلاصي من نفسي الآثمة عندما فعلت ذلك هاجرًا الصبا ووسوسة الشيطان ووجدت من نبيه خير شفيع وناصح وعافت النفس عرض الدنيا ورجوت ثواب الاخرة فاستعمال الفعل وجد هنا قصد الشاعر به الإخبار عن الكلام السابق فباستبداله الكلام السابق بهذا الفعل قد أكسب النص سبكًا إحاليًا أغنى عن تكرار العبارة إذ تحقق به الإيجاز.

٣- الاستبدال القولي والعباري وقد ورد هذا الاستبدال في ثلاثية البردة تعبيرًا عنه باسم الإشارة ومنه قول كعب الذي مر بنا آنفًا.

حتى وضعت يميني ما أنازعه في كف ذي نقمات قيله القيل
لذاك أهيب عندي إذ أكلمه وقيل إنك مسبور ومسؤول

فقد استبدل العبارة السابقة باسم الإشارة التي تضمنت المعنى واللفظ. ومثل ذلك استعمال اسم الإشارة عند أمير الشعراء في قصيدته نهج البردة.

قالوا: غَزَوْتَ، ورسْلُ اللهِ ما بُعثوا لقتْل نفس، ولا جاءُوا لسفكِ دمِ
جهلٌ، وتضليلُ أَحلامٍ، وسفسطةٌ فتحتَ بالسيفِ بعد الفتح بالقلمِ
لما أَتى لكَ عفوًا كلُّ ذي حَسَبٍ تكفَّلَ السّيفُ بالجُهّالِ والعَمَمِ
والشرُّ إن تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به ذَرْعًا، وإن تَلْقَهُ بالشرِّ يَنحسِمِ
سَل المسيحيّةَ الغراءَ: كم شرِبت بالصّاب من شَهوات الظالم الغَلِمِ

طَريدةُ الشّركِ، يؤذيه، ويوسعُها في كلِّ حينٍ قتالًا ساطعَ الحَدَمِ
لولاه لم نر للدّولاتِ في زمن ما طالَ من عمد، أَو قَرَّ من دُهُمِ
تلك الشواهِدُ تَتْرَى كلَّ آونةٍ في الأَعصُر الغُرِّ، لا في الأَعصُر الدُّهُمِ(٨٨)

فهنا يسترسل شوقي في مدحه لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويقول إنه علم المسلمين كل شيء في حياته من فنون الحرب والقتل وخاصة ما فيه من العهود والحقوق وأصول الأمانة وحفظ الذمة للأسرى والمحافظة على جثث القتلى وعدم التمثيل بها فقد دعا الرسول (صلى الله عليه وسلم) المسلمين للجهاد ونادى أن يكون فيه فخرهم وعزهم وعلوهم وأن هذه الحرب هي الأساس الذي يبنى عليه الكون وتقوم الأمم والأسس والنظم التي تقوم من خلالها الدول مهما طال عليها الزمن أو ثبت حدودها وهذه الشواهد والآثار تتولى في كل زمن من الأزمان الحاضرة أو أزمان العزة ويقول الشاعر كذلك:

بالأمس مالت عروش واعتلت سرر ولا القذائف لم تسلم ولم تعم

ويؤكد أن هذه التغييرات بين نظام وآخر وبين ملك وآخر ما كانت لتتم لولا الحرب(٨٩).

فإن اسم الإشارة "تلك" قد استبدل به عبارات كثيرة إذ إنه أحال إلى ما سبق من المعاني والألفاظ التي تناولها الشاعر. والباحث يحسب أن هذه الضرب من الاستبدال وهو الاستبدال القولي أو العباري يتداخل جليًا مع الإحالة بأسماء الإشارة على الرغم من أن كلاً منهما يشكل إثراءً في القول وتحقيقا للسبك النصي.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا المطاف الشائق الذي أبحرنا به في ميدان من ميادين اللغة العربية وهو ميدان حديث ذو جذور عريقة وهو علم اللسانيات، فقد خلص البحث إلى النتائج الآتية:

١- إن هذا العلم وإن كان قد تطور على أيدي اللغويين الغربيين إلا أن له بوادر في التراث العربي وتبين ذلك من خلال ما عرفه الباحث في المبحث الأول لجهود العلماء الأجانب والعرب بعد أن عرج على أهم المدارس التي نشأت مؤخرًا مع ذكر أبرز علمائها.

٢- تناول الباحث في المطلب الثاني عنصرًا من عناصر الدرس اللساني وهو السبك إذ قسمه على قسمين سبك معجمي وسبك نحوي واقفًا على توضيح المعنى المعجمي لهذا المصطلح ثم ذكر أنواع السبك ومن أهمها الإحالة ومدلولها اللغوي والاصطلاحي وما ينضوي تحتها من تفرعات كإحالة بالضمائر وأسماء الإشارة. وقد وجد الباحث أن الإحالة بالضمائر في ثلاثيات البردة كثيرة جدًا. أما الإحالة باسم الإشارة فلم يرد منها إلا النزر اليسير.

٣- تتحقق الإحالة النصية في السبك من خلال عناصر أخرى كالإحالة بالاسم الموصول والإحالة بالمقارنة، وقد ورد هذان النوعان في المطلبين الأخيرين من المبحث الأول، إذ وقف الباحث على الأسماء الموصولة في قصائد البردة صريحة كانت أم مبهمة، وكذلك الجمل من خلال مقارنتها ومقابلتها بجمل أخرى وهذا ما ورد في مبحث الإحالة بالمقارنة إذ نتج عن ذلك فهم الدلالة السياقية المقالية والمقامية التي وردت فيها تلك العبارات.

٤- تحدث الباحث في المبحث الثاني عن ظاهرة جليلة القدر عظيمة النفع وهي الحذف والاستبدال إذ إنها تمثل أسمى مراحل البيان إذ إن هذه الظاهرة قد أكسبت نصوص العربية رونقًا بهيًا، فقد ذكر الباحث في المطلب الأول تعريف الحذف وأنواعه ثم وقف على أمثلة له في ثلاثيات البردة معززًا كلامه بتلك الشواهد.

٥- وقف الباحث في المبحث الأخير من البحث على ظاهرة لغوية وهي الاستبدال معرجًا على أنواعه الاسمي والفعلي والمقالي، ومن الجدير بالإشارة إليه أن الباحث يرى أن هذا الموضوع أي الاستبدال قد يكون متصلًا أو متداخلًا في أنواع أخرى كأسماء الإشارة التي رأيناها دخلت في موضوع الإحالة، بل إن الاستبدال المقالي قد يدخل مع أخويه الاستبدال الاسمي أو الاستبدال الفعلي في باب الحذف، ويمكن القول إن هذا الأمر قد أضفى منقبة على اللغة العربية إذ إن الباحث الحصيف يجد نفسه أمام بحر من التعبيرات يغترف من أيها شاء، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الهوامش:

(١) ينظر من اسهامات العرب القدامى في مجالات الدراسات الالسانية www.alukah.net اطلع عليه بتاريخ ١٦ / ١٢ / ٢٠١٨.

(٢) علم الاصوات، www.shamela.com، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٨/١٢/١٦، بتصرف.

(٣) لسانيات، اطلع عليه بتاريخ ٢٠١٨/١٢/١٦، www.Marefa.org

(٤) ينظر مدخل الى اللسانيات، محمد محمد يونس. ص٩٨/٥٩.

(٥) ينظر، محمد العبد (دكتور)، حبك النص، مجلة فصول، العدد ٥٩، ربيع ٢٠٠٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ص٥٤.

(٦) ينظر كتاب العين: (٢١٤/٢) والمحيط في اللغة مادة سبك ولسان العرب: ٤٣٨/١٠.

(٧) تمام حسان (دكتور)، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) عدد ٥٩، النادي الادبي الثقافي بجدة، ١٩٩٥م، ص٧٨٩.

(٨) نقلا عن الدكتور جميل عبد المجيد، من كتاب البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٩)م ص١٢٣.

(٩) سعد مصلوح (دكتور)، نحو آجرومية النص الشعري، مجلة فصول، العدد الثاني، خريف١٩٩٩م، ص١٥٤.

(١٠) حبك النص ص٥٥.

(١١) جميل عبد الحميد (دكتور) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٩)م ص٧٧.

(١٢) ثنائية السبك والحبك في اللغة والادب، عبد الوهاب خلف الله امبية، ص٤٨.

(١٣) ينظر السبك والحبك في جزء المجادلة (ص١٩).

(١٤) لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ١٣.

(١٥) ينظر معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ: ١٨٦/١١-١٨٧، مادة (حول).

(١٦) ينظر أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (١٢٥/١).

(١٧) الكتاب سيبويه (٧٨/٢).

(١٨) كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٨٨/٢.

(١٩) ينظر روبرت دي بوجراند. النص والخطاب والاجراء ص١٧٢.

(٢٠) الاسترابادي، شرح الرضي، ج٤، ص٤٠١.

(٢١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٥، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٠٨.

(٢٢) صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠، ج١، ص١٣٧، السبك النصي في سورة الملك، ص٦.

(٢٣) كعب بن زهير، شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.

(٢٤) ينظر الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القراني. عادل اسماعيل: ١٦٨(بحث).

(٢٥) أحمد شوقي، ديوان احمد شوقي، بيروت، ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ. ينظر شرح المفصل: ١١٤/٣.

(٢٦) ينظر دراسات لغوية تطبيقية، بحيري ص١٢٧-١٢٩.

(٢٧) اللغة والمعنى والسياق، ص٢٤٦.

(٢٨) لسانيات النص، خطابي، ص١٩، الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي في خطبته (صل) في أول جمعة صلاها في المدينة المنورة د.عبد الحكيم عبد الخالق الحسن سيد احمد، ص٣٧٤.

(٢٩) ينظر أصول تحليل الخطاب.

(٣٠) شرح ديوان كعب.

(٣١) ينظر دراسات لغوية، تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة.

(٣٢) شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الجنوني الصنهاجي (٦٠٨ . ٦٩٦ هـ) ، ديوان البوصيري، الشاملة الذهبية.

(٣٣) ينظر: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٣٤.

(٣٤) ينظر: شرح نهج البردة.

(٣٥) ينظر: حسن حسين (المتوفى: معاصر) ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الناشر: دار الكتب القطرية – الدوحة الطبعة: الأولى – ١٤٠٠ عدد الأجزاء: ١.

(٣٦) شرح الرضي ١٩٩/١.

(٣٧) ينظر لسانيات النص احمد الخطابي: مداخل الى انسجام الخطاب المركز الثقافي العربي، بيروت ط١، ١٩٩١، ص١٩. الاتساق في التعبير الكتابي: من خلال وثائق المتعلمين للسنة الرابعة من التعليم المتوسط عبد الحق قاسمي.

(٣٨) ينظر ثلاثيات البردة.

(٣٩) ينظر: ثلاثيات البردة.

(٤٠) ينظر: ثلاثيات البردة.

(٤١) ينظر: لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ١٩.

(٤٢) ينظر لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب: ١٩. وينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٢٤.

(٤٣) ثلاثيات البردة.

(٤٤)ثلاثيات البردة.

(٤٥) السبك والحبك في جزء المجادلة: ٤٥.

(٤٦)أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م :/١٢٠.

(٤٧) لسان العرب: ٤٠/٩.

(٤٨) ينظر أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة: ٣٧٩/٣٨٠.

(٤٩) دلائل الاعجاز ج١/ص١٢١، ظاهرة الحذف بين النحو والبلاغة سليمان أبو عيسى تاريخ الاضافة ٢٠٠٧/١٠/٩ شبكة الالوكة.

(٥٠) الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٣٣٧.

(٥١) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٠.

(٥٢) ينظر الكتاب ج١، ص١٨٥.

(٥٣) ينظر شرح ابن عقيل ج١ ص٧٩.

(٥٤) شرح الشواهد الشعرية في امات الكتب النحوية، ج٢، ص٢٢٥، الشاعر غسان بن وعاله.

(٥٥) شرح السيرافي على كتاب سيبويه، ج١، ص١٩.

(٥٦) محمد بن حبيب، جرير – محمد بن حبيب، ديوان جرير، المحقق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة.

(٥٧) ينظر عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) شرح قطر الندى وبل الصدى، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: القاهرة الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ (ص٢-٧٥).

(٥٨)شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المحقق: نواف بن جزاء الحارثي الناشر: المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م: (ص٨٦).

([٥٩]) ينظر:محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ص٩٠.

([٦٠])علوم البلاغة البيان المعاني البديع، ص٩٢.

([٦١]) ينظر ديوان ضابئ

([٦٢]) ينظر علوم البلاغة البيان المعاني البديع

([٦٣]) الكشاف ج٣ ص٤١.

([٦٤]) ينظر شرح ديوان كعب.

([٦٥]) ينظر: شرح الديوان. ثلاثيات البردة.

([٦٦]) ينظر: البلاغة الاسلوبية ص٥٦ ، السبك والحبك في جزء المجادلة.

([٦٧]) اعراب البردة.

([٦٨]) ينظر شرح ثلاثيات البردة.

([٦٩])ينظر ثلاثيات البردة.

([٧٠]) مغني اللبيب ٦١١– شرح التصريح على التوضيح، ج١، ص٢٠٩.

([٧١]) ينظر شرح ثلاثيات البردة.

([٧٢]) ينظر أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، شذا العرف في فن الصرف، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله ١

([٧٣]) ينظر: ص٤٢.

([٧٤]) ينظر محمد يحيى حلو، البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، مراجعة: محمد علي حميد الله الناشر: دار البيروتي – دمشق الطبعة: الثالثة – ١٤٢٦ هـ عدد الأجزاء:١، ص٤٦.

([٧٥]) ثلاثيات البردة.

([٧٦])ثلاثيات البردة.

([٧٧]) مقاييس اللغة، ٢١٠/١. مادة بدل. وينظر: لسان العرب ٤٨/١١. مادة بدل.

([٧٨]) الكتاب: ٦٣/٣–٦٤.

([٧٩]) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ومحمود نحلة: ٢١٢–٢١٤، وينظر السبك والحبك في جزء المجادلة ص٥٧.

([٨٠]) ينظر عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي أبو الطيب، كتاب الابدال، المحقق: عز الدين التنوخي، ١٣٨٠هـ–١٩٦١م.

([٨١]) شعر محمد مهدي الجواهري: دراسة نحوية نصية للباحث صالح عبد العظيم الشاعر، إشراف محمد عبد المجيد العوايل، كلية دار.

([٨٢]) المصدر السابق نفسه.

([٨٣]) ينظر الاستبدال وأثره في سبك النص، عهد الإمام علي (عليه السلام).

([٨٤]) نحو النص، ٢٠، وينظر: أصول تحليل الخطاب ١٣٣، الاستبدال وأثره في سبك النص عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر نموذجًا.

([٨٥]) ثلاثيات البردة.

([٨٦])ثلاثيات البردة.

([٨٧]) ينظر ثلاثيات البردة.

([٨٨]) ثلاثية البردة.

([٨٩]) ثلاثية البردة.

المصادر :

١- أحمد شوقي، ديوان أحمد شوقي، بيروت، ١٩٨٨م / ١٤٠٨هـ.

٢- أحمد بن محمد الحملاوي (المتوفى: ١٣٥١هـ)، شذا العرف في فن الصرف، المحقق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله الناشر: مكتبة الرشد الرياض الجزء ١.

٣- أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٤- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر, مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.

٥- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٦- د.تمام حسان، موقف النقد العربي التراثي من دلالات ما وراء الصياغة ضمن كتاب (قراءة جديدة لتراثنا النقدي) عدد ٥٩، النادي

٧- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة،الطبعة الخامسة, ٢٠٠٦.

٨- جميل عبد المجيد، كتاب البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

٩- حسن حسين (المتوفى: معاصر) ثلاثية البردة بردة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، دار الكتب القطرية - الدوحة الطبعة: الأولى

١٠- الخليل بن أحمد الفراهيدي - عبد الحميد هنداوي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب

١١- د.سعد مصلوح , نحو آجرومية النص الشعري، مجلة فصول، العدد الثاني، خريف١٩٩٩م، ص١٥٤.

١٢- شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٩هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المحقق: نواف بن جزاء الحارثي, المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٤م.

١٣- شرف الدين محمد بن سعيد بن حمّاد الجنوني الصنهاجي(٦٠٨ - ٦٩٦ هـ) ، ديوان البوصيري، الشاملة الذهبية.

١٤- صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار قباء، ٢٠٠٠، ج١.

١٥- عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ) شرح قطر الندى وبل الصدى، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: القاهرة الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ.

١٦- عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي أبو الطيب، كتاب الابدال، المحقق: عز الدين التنوخي، ١٣٨٠هـ-١٩٦١م.

١٧- كعب بن زهير، شرح ديوان كعب بن زهير، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.

١٨- محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني», المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان

١٩- محمد بن حبيب، جرير - محمد بن حبيب، ديوان جرير، المحقق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة.

٢٠- محمد بن محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية "لأربعة آلاف شاهد شعري"، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧-

٢١- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٢- محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، دار صادر للطباعة والنشر، طبعة الاولى. تونس.

٢٣- محمد العبد (دكتور)، حبك النص، مجلة فصول، العدد ٥٩، ربيع ٢٠٠٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٤- محمد محمد يونس، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط٢.

٢٥- محمد مهدي الجواهري: دراسة نحوية نصية للباحث صالح عبد العظيم الشاعر، إشراف محمد عبد المجيد العوايل، كلية دار العلوم.

٢٦- محمد يحيى حلو، البردة شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، مراجعة: محمد علي حميد الله, دار البيروتي - دمشق الطبعة: الثالثة - ١٤٢٦ هـ الجزء ١.